مقالة مترجمة

المعلمون شركاء في البحث الإجرائي

ترسيخ دور المعلمين
في التأثير على فاعلية المدرسة

المقالة الأصلية بعنوان

Carter, K. (1998). Action Research in Partnership: Establishing Teachers as Key Players on The School Effectiveness Stage. Educational Action Research, 6(2) pp. 275-301.

ملخص

تبحث هذه المقالة في عدد من الأفكار التي تتعلق بمساهمة المعلم في أبحاث خاصة بفاعلية المدرسة وتحسين أدائها، وخاصة في مجال الأبحاث الإجرائية وكيفية استعمالها من داخل المدرسة كوسيلة للتحسين، استوحى كاتب هذه المقالة من خبرته في الأبحاث الإجرائية من النوع التعاوني التي أجراها في المدارس الريفية في الولايات المتحدة الأمريكية.

تدعو هذه المقالة إلى إعطاء المعلم دورا رئيسيا في تحسين المدرسة، وزيادة فعاليتها، وذلك من خلال تبني منهجية الأبحاث الإجرائية في إطار المشاركة في هذه العملية.

مقدمة

يمكن اعتبار الأبحاث الإجرائية بمثابة وسيلة تمكّن المعلمين من استنتاج معان ناتجة من سياق عملهم بهدف تحسين ممارساتهم التعليمية، إن هذا النوع من الأبحاث من شأنه أن يمنح المعلمين شعوراً بالامتلاك، كما يساعد على إحداث التغيير على أساس عملي ودليل ملموس وليس على الحدس فقط.

ومن أجل انتقال الأبحاث إلى عالم التطبيق فلا بد من أن يدرك المعلمون قدرتهم على المساهمة في تحسين المدرسة، كما يجب أن يحظى المعلمون بنوع من المشاركة في هذه الإسهامات جنباً إلى جنب مع الأكاديميين وصانعي السياسات، وهذا يتطلب إحداث نقلة في دور المعلم الحالي كمتلقٍ للنظريات المعتمدة من قبل الأبحاث التي قام بها أشخاص من خارج المدرسة إلى دور المشارك في العملية، فالأبحاث لن تستطيع أن تؤثر على المدارس في الاتجاه المطلوب ما لم تكن مقبولة من قبل المعلمين وعلى أنها تقوم بالتغيير نحو الأفضل «التقبل» (acceptability)، وما لم يستطع المعلمون التكيف مع منهجيتها «التكيف»، (adaptability)، وما لم يتم توصيل نتائجها وتطبيقاتها إلى المعلم بشكل قابل للتطبيق «الوصول إلى» (accessibility).

أهمية مشاركة المعلمين في المساهمة في تحسين المدرسة وزيادة الفاعلية

إن المحددات التي تعاني منها تجارب بحثية سابقة في التطوير والتي لم تنجح في تحسين المدرسة تعود إلى عدم إشراك الأطراف المختلفة في العملية، مما أدى إلى سلسلة من السياسات غير المفحوصة والتي نتج عنها خسائر، إن المساهمة يجب أن تكون من قبل المعلمين والأكاديميين الذين يشكلون مزيجاً مؤثراً وفعالا من الأبحاث والخبرة العملية.

من ناحية أخرى تكمن أهمية إشراك المعلمين في عملية تطوير المدرسة وزيادة فعاليتها في أن المعلم هو الذي يستمر بتطبيق ما وضعه أصحاب السياسات والأبحاث الذين ينصرفون إلى أعمالهم الأخرى عند انتهاء مهمتهم، فإذا لم يكن المعلم مشاركا ومقتنعا بهذه العملية، فإن النتائج لن تكون مضمونة، إن الهدف المنشود هو استمرارية الإجراءات والطرق التي يقدمها المعلمون من خلال الأبحاث الإجرائية حتى بعد انتهاء المشاريع الفردية.

ولا تقتصر المشاركة على المعلمين بل تتعداها إلى أولياء الأمور، والرؤساء، والجهات المسؤولة، والسلطات المحلية، وصانعي القرارات المحلية، ومؤسسات التعليم العالي، إن التعاون بين هذه الأطراف ضروري من أجل خلق نموذج جيد لمدرسة فعالة.

في هذا السياق سوف نتعرض لثلاثة مصطلحات وهي: «التقبل»، «التكيف»، «الوصول إلى»، من خلال هذه المصطلحات التالية يمكننا إبراز قضايا هامة ومشاكل معيقة.

«التقبل»: من المشاكل التي تواجهها المدرسة عند محاولة تحسينها وزيادة فعاليتها هو طريقة تفسير المعلمين لمحاولات تغيير المدرسة وزيادة فعاليتها، إذ إنه من الممكن ألا يتقبل المعلم المبادئ الإدارية التي تأتي في هذا الإطار مما يعيق العملية برمتها.

«التكيف»: إن نوعية الأبحاث التي تتناولها هذه المقالة من أجل تحسين المدرسة، وزيادة فعاليتها تتبع منهجية آلية ومعتمدة على القياس، وهذا قد يشكل صعوبة للمعلمين في التكيف مع هذه الآليات من حيث كونها

تناقض الطبيعة الاجتماعية والأخلاقية للعلاقات التربوية بين المعلمين وطلابهم.

من ناحية أخرى تتبنى هذه الأبحاث جانباً غير واضح ونوعاً غير متواصل من التغيير، هذه النظرة تحتاج إلى نوع من الاستقلالية والقدرة على الاستجابة للتطورات المطلوبة من قبل المعلمين، إن الأبحاث الإجرائية تشكل نوعاً من التكيف تجاه التوجه السابق إذ إنها توفر نوعاً من المرونة والتأملية مما يدعم توجه الأبحاث التي تعمل على تطوير المدارس، وبخاصة للمعلم.

«الوصول إلى»: من المهم التركيز على كيفية تقييم نتائج الأبحاث، ولكن المشكلة هنا تكمن في الطبيعة النظرية للأبحاث، وكونها موجهة للأكاديميين أكثر منها للمهنيين، ومن هنا يجب أن نهتم بالطرق التي يفسر فيها المعلم هذه الأبحاث، وقدرته على ربط النظرية بالتطبيق، وهذه العملية لن تكون سهلة في حالة كانت النتائج مفروضة على المعلمين من طرف خارجي.

الفاعلية ونشوء النظام الإداري في المدرسة

ظهرت في أواخر الستينيات وأوائل السبعينيات نتائج الأبحاث الخاصة بفاعلية المدرسة في أمريكا التي تبين الأثر القليل للمدرسة على تحصيل الطلبة مما دعا الحكومة عام ١٩٧٩ إلي إبداء وجهة نظر مغايرة، وذلك بإعادة تعريف القطاع العام من خلال إدخال التقنيات الإدارية للقطاع الخاص. وبهذا ظهر توجه الإدارة الأدائية في المدارس (management Performance) بمعايير مألوفة وهي: الفاعلية، التأثير، الامتياز، التفوق، التي اعتبرت معايير للإدارة المدرسية الفاعلة. وقد أثر هذا التوجه بمعاييره على حياة المعلمين وعملهم اليومي، بحيث أصبح مفهوم المعلم لدوره أكثر توجها نحو المدرسة ككل، وليس على مستوى الصف، مما يجعل المعلمين في حيرة وتخوف مستمرين نتيجة اعتقادهم أن الربط بين الأمور الإدارية والتعليم قد يبعد المعلم عن تطوير ممارساته الصفية. والسؤال الذي يطرح نفسه هو: ما هي الاتجاهات التي يجب أن تتجه نحوها أبحاث تطوير المدرسة في المستقبل؟ أحد التنبؤات يقول بأنه يجب أن يعاد التركيز على الممارسات الصفية؛ بمعنى آخر، إن الجدل الفكري سيكون حول تعليم الفاعلية والتطوير. هذا يمكن عمله من خلال إعادة توجيه الأبحاث حول فاعلية المدرسة وتطويرها بحيث تركز على الممارسات والاستراتيجيات على مستوى الصف، وليس على مستوى المدرسة ككل أو على العوامل السابقة للفاعلية والتطوير. إن فتح مثل هذا الباب في الأبحاث يجب أن يعتبر مهما ومميزا لأنه يمنح أولئك المستنكفين من المعلمين الذين ينظر إليهم على أنهم مقاومون للقبول بمعتقد الفاعلية والتطوير على أساس «الإدارة» . يقول كاتب المقالة بأن هذا ما تم تبنيه في المشروع القائم في المدارس الأساسية؛ ففي البداية تم اقتراح تبني توجه الإدارة الأدائية للمدرسة ككل، وأثر ذلك على فاعلية المعلمين والطلاب. وهذا التوجه في الفاعلية مأخوذ من المنظور الإداري السالف الذكر. لكن بعد الحديث مع المعلمين (الذين سيقودون مشروع البحث في المدرسة) فقد أصبح واضحا بأنهم قليلا ما يرون أن هناك تطويرا مهنيا من هذا المنظور الإداري، وكان همهم كيف يترجمون ممارساتهم وممارسات زملائهم على مستوى الصف. وهنا تمت إعادة توجيه المشروع نحو التركيز على الممارسات الصفية بدلا من التركيز على الإدارة الأدائية. إن هذا التوجه الجديد جعل المعلمين يهتمون بالسياقات الخاصة بالمدرسة في بحثهم، وأكثر تحديدا بالسياقات الصفية. إن عمل مشروع بحث حول الفاعلية والتطوير للمدارس يضع المعلم وسط عمليات تأملية، ويمنحه القدرة على البحث في نتائج الأبحاث الأخرى. وهذا هو ما تم تبنيه في المشروع NWCSEUS (هو اسم المشروع الذي قام به الباحث/كاتب المقالة في المدرسة وسيرد تفصيل له لاحقا).

الفاعلية – رؤية أخرى لقياسها

إن إحدى القضايا الجوهرية الظاهرة من الصورة المعروضة هنا تتعلق بمفهوم المعلم لفاعلية المدرسة، وهي النظرة للفاعلية كخطوة من عدد من الخطوات الأولى المصاحبة لمتطلبات قياس الإنجاز ووضع المعايير في المدارس. وهذا متمثل في متطلبات المؤسسة لإدخال لوائح الأداء لنتائج الامتحانات، ونشر لوائح الحضور، وتشجيع تقارير التفتيش، وتطوير نظام الترقيات والمكافآت المرتبطة بالراتب. إن مفهوم الترقيات التقليدي الذي استخدم في كثير من المؤسسات الصناعية والذي ركز على مقارنة الناس وربطها بالراتب فشل فشلا ذريعا. ويرى كثير من المعلمين أن تطوير الفاعلية المدرسية مرتبط بمفهوم الإنتاجية الذي يصور الطلاب على أنهم مخرجات مصنع (بضاعة). إن تشبيه الطلاب بالبضاعة التي يمكن تقييمها بسهوله هو شيء غير إنساني بالنسبة لهؤلاء المعلمين، فلديهم التزام أخلاقي وشخصي اتجاه الطلاب بحيث يصعقهم مثل هذا التوجه. لكن هناك حقيقة لا مفر منها، وهي أن

إن الأبحاث الإجرائية تشكل نوعاً من التكيف تجاه التوجه السابق إذ إنها توفر نوعاً من المرونة والتأملية مما يدعم توجه الأبحاث التي تعمل على تطوير المدارس، وبخاصة للمعلم.

رحلة تعليمية – غزة

المعلمين بحاجة إلى قياس مخرجات الطلبة مما يدفعهم إلى تقبل التوجه العقلاني لمعرفة قياس الأداء في المدارس، وهم يعلمون بأن مخرجات المدرسة أسهل للقياس الكمي بالموازنة مع العمليات.

صحيح أن المعلم يتنفس الصعداء عندما يرى أن أبحاث الفاعلية المدرسية تهتم بالمخرجات عبر استخدام توجهات عقلانية، إلا أن هذا لا يساعد على فهم العالم الغامض في عالم ما بعد الحداثة بحيث يجعل التكيف أمراً صعبا. ويزداد النظر إلى التوجه العقلاني بأنه غير مناسب إذ إنه لا يترجم حاجات المدارس في ترسيخ التكيف، الانفتاح، التفسيرات، العمل التأملي، وهي أمور مهمة لا بد منها لاستمرار حياة المؤسسة ضمن جو الغموض لعالم ما بعد الحداثة. وهنا تقع المدرسة في تحد ما بين تبني مستويات فهم الغموض السابقة، وبين تبني توجهات عقلانية. إن استخدام التوجهات العقلانية للقياس يحجب حقيقة أن المدرسة جسم غامض ومتغير. وهنا يجب الدمج بين أبحاث الفاعلية في المدرسة وبين أبحاث التطوير في المدرسة التي تظهر الغموض للمعلمين من أجل تطوير استراتيجيات التعامل والتأقلم مع هذا الغموض). وهذا يجب أن يرافقه تحول نحو تركيز أقوى على أسس البحث الصفي Classroom-based approach research) ونحو تعليم أقل تأثرا بالمبادئ الإدارية، وأكثر علما بالتوغل في العناصر الأقل عقلانية للتنظيم المدرسي «أي إشراك العقل والقلب معا» .

يتوجب علينا أن نناضل في المدرسة من أجل حاجات التعلم والاهتمام بالطلاب جميعهم، وليس بالنخبة منهم؛ فالانفتاح، وعدم الرسمية (informality) والاهتمام (care) واليقظة (attentiveness) وعلاقات العمل غير الرسمية (lateral working relationships) والتبادلية (reciprocity) هي مكونات فعالة للمدرسة الفاعلة. إن المقاومة يجب أن تتمثل في تغيير تربوي يتجه نحو ما هو أبعد من

من نشاطات المركز – البحوث الإجرائية – غزة

المدرسة من أجل إثراء ما يحدث في المدرسة. ويجب أن تمتزج فيه قلوبنا بعقولنا.

إن الأداء الأفضل لا يتحقق بمجرد وضع الأهداف، ومنح بعض الجوائز المادية الإضافية، بهدف حث الناس على تطوير نوعية الرعاية بالزبون. لكنه يتحقق من خلال علاقة أكثر متانة أو من خلال عقد بين المؤسسة والأفراد بحيث يعترف بالفروق الفردية والحاجات الفردية والاختلاف في القدرات. لذلك، فإنه بالإضافة إلى المؤسسات التعليمية يجب أن نضع شيئا آخر، وهو مؤسسات الاعتناء بحقوق المعلمين ورعاية مصالحهم.

توسل المعنى من بحث فاعلية المدرسة: حل قضية النظرية–التطبيق من خلال البحث الإجرائي

يتوجب علينا أن نناضل في المدرسة من أجل حاجات التعلم والاهتمام بالطلاب جميعهم، وليس بالنخبة منهم

أحد العوامل المفتاحية في تناول مدى سهولة التعامل مع بحث فاعلية المدرسة من قبل المعلمين هو حاجتهم لإعطاء معنى للنظرية المتولدة في الميدان بشكل يغذي ممارساتهم على المستوى الأدائي في المدرسة. وبالنسبة للمعلمين فإن عملية ترجمة البحث إلى أداء لا يمكن أن تبدأ قبل أن ينتشر وعي بدراسات فاعلية المدرسة وتطويرها.

إن تصور المعلمين عن فاعلية المدرسة يمكن النظر إليه بأنه يعكس فهم المعلمين للمصطلح على أنه مرتبط بالحاجة «لبرهنة تحقق الفاعلية في المدرسة» . ومن ثم فليس من المدهش أن يشعر المعلمون بأنهم ليسوا المعنيين بزيادة معرفتهم بعوامل فاعلية المدرسة، وإنما السؤال هو من اختصاص غرباء خارجيين معنيين بإملاء مسؤوليات إضافية على مهنة التعليم. ويظهر هذا بشكل أوضح عندما يتضح بأن نتائج أبحاث فاعلية المدرسة وتطويرها استخدمت من قبل صانعي القرار لتملي على المدارس كيفية إحداث التطوير.

يشكل هذا صعوبة لأولئك المشتركين في أبحاث فاعلية المدرسة عندما يحاولون وضع نتائج أبحاثهم تحت تصرف مهنة التعليم، حيث سيتوقعون بعض العداء أو على الأقل عدم الاهتمام من قبل هؤلاء الذين يشعرون بأنها تمثل مجموعة أخرى من التوقعات حول طبيعة عملهم وهدفه. وفي ظل المناخ الحالي للإدارة المدرسية، وزيادة متطلباتها للمسؤولية (أو المحاسبية) فإن مهنة التعليم وجدت نفسها في مواجهة الحاجة لمناقشة طرقها، وتوجهاتها وأدائها من حيث التزامها برفع المعايير، وضمان النوعية، والفاعلية.

وإذا ما كان البحث في مجال الفاعلية ينظر إليه من قبل المعلمين بأنه ناتج من الاستجابة إلى أوامر الحكومة المركزية، ويهتم بتعريف وقياس المعايير، وبالتالي يمكن الافتراض بأن المعلمين يشعرون بانتماء محدود للنتائج، وبشكل خاص إذا ما شعروا بأنه يفرض قائمة من المبادئ التي يرون بأنها مرتبطة بتركيز طاقاتهم كمعلمين في المجال الإداري وانطباعات الإدارة

الأدائية ذات الصلة الضعيفة بهم كمعلمين. وما يمكن أن يكون بغيضا أيضا هو الشعور بأن هذا يمكن أن يكون موجها بأبحاث، بمعنى ضرورة فهم فاعلية المدرسة كنظرية ناتجة عن الباحثين التربويين الذين ينظر إلى اهتماماتهم بأنها النظر للنظرية من أجل النظرية من أبراجهم العاجية. ويمكن لهذا أن يؤدي إلى ردود فعل تتسم بالإهمال بافتراض أن مصدرها لا يرتكز حقيقة على الأداء، وإنما على مجال النظريات التي ينظر إليها بأنها بعيدة عن حقل التعليم.

لقد تم تطوير منهجية البحث الإجرائي من قبل المدارس الريفية في الولايات المتحدة الأمريكية من خلال عملهم مع المدرسة، في محاولة للتغلب على هذه المشكلة. وبتبني هذا التوجه فإن النية هي جعل الأبحاث الإجرائية في متناول المعلمين. والأكثر من ذلك وضع المعلمين في بؤرة عملية البحث. وقد وجه الاهتمام إلى الحاجة لتفسير المعلمين لدراسات فاعلية المدرسة، واستراتيجيات التطوير الناتجة من هذه الأبحاث في سياق مدارسهم. والمبرر لذلك أن الكثير من الأبحاث يمكن أن تكون عرفت عوامل الفاعلية واستراتيجيات التطوير المرتبطة بالسياق بشكل لا يمكن توظيفها مباشرة. إن التطوير يتطلب من المدارس تبني استراتيجيات مناسبة لأوضاعهم المحلية في ضوء التفاعلات المفحوصة في دراسات الفاعلية.

يؤكد هذا أهمية البحث الإجرائي كمنهجية لاستكشاف فاعلية المدرسة، ونظريات تطوير المدرسة، ويوفر على الأقل وبصورة جزئية مبررا لتطوير التفاعل النشط للمعلمين في البحث في هذه المجالات على المستوى المحلي. وبالإضافة لذلك فإن هذا البحث سيكون له أثر ذو معنى على المعلمين إذا ما أعطوا الفرصة لفحص القضايا المركزية في هذه الحقول من خلال الممارسة على مستوى المدرسة. وبالنسبة للمعلمين فإن مصداقية بحث فاعلية المدرسة ونظرية التطوير من خلال الأداء يمكن أن يكون لها أثر ذو معنى أكثر من محاولات إيجاد فهم وتقبل للنظريات ثم التحقق من مصداقيتها بصورة مستقلة خارج إطار المدرسة ثم تقدم كأداء يوصى به. واقترح إليوت أن المعلمين عادة ما يشعرون بالتهديد بالنظرية عندما تقدم بصورة مثبتة من خارج المدرسة.

يشعر المعلمون بتهديد النظريات لأنها أنتجت من مجموعة من الأشخاص الخارجيين الذين يدعون بأنهم خبراء بإنتاج معرفة صادقة عن الممارسات التربوية. ومن وجهة نظر المعلمين، فإن النظرية هي ما يقوله الباحثون الغرباء عن ممارساتهم بعد تطبيق نظريات خاصة في معالجة المعلومات. وبذلك فهي بعيدة عن تجاربهم العملية، كما أن الإذعان للنظريات يعني إنكار مصداقية التجربة المبنية على المعرفة المهنية.

ويستمر إليوت (Elliot، ١٩٩١) بوصف العاملين الرئيسيين لعملية بناء النظرية، الأول: بعد النظرية عن معرفة المعلمين المهنية وخبرتهم، وثانيا: تهديد النظرية الحقيقي لمعرفتهم المهنية. ويدعي بأن العامل الثاني إضافة إلى العامل الأول يجعل من العلاقة بين النظرية والتطبيق مشكلة حقيقية للمعلمين. ويتفاقم هذا الوضع عندما توثق نتائج هذه الأبحاث أو تنشر بطريقة ليست في متناول المعلمين. إن معظم الممارسين لا يهتمون بالأبحاث أو بالإصدارات البحثية وينظرون إليها كبعيدة أو ليست ذات علاقة بعملهم الحقيقي مع الطلاب. إن المعلمين عادة ما يصفون أنفسهم بأنهم غير قادرين على التحدث باللغة المتعارف عليها في التقارير البحثية وهذا يشكل عائقا أمام اكتساب المقدرة للتوصل إلى نتائج الأبحاث، ناهيك عن المشاركة فيها. كما سيقود إلى افتقار المعلمين للثقة فيما إذا كان لديهم شيئا ما ذو قيمة للمشاركة في جسم المعرفة التربوية وفهمها».

إن أولوية تطوير المدرسة على المستوى الإداري هي في كيفية دعم وتشجيع عملية التأمل التي تدعى عادة بالبحث الإجرائي من قبل المعلمين على مستوى غرفة الصف.

وبالنسبة لدراسة الفاعلية في المدارس الريفية في الولايات المتحدة الأمريكية، فإن أحد التوجهات الهامة في عملية تبني توجه البحث الإجرائي في عملنا مع المدارس، كان الحاجة لتناول الفاصل ما بين النظرية والتطبيق كما هي متضمنة في التصورات المختلفة للشركاء من التعليم العالي والمدارس. وقد كان هذا أحد الاهتمامات الحقيقية للدراسة، وأثر على توجهاتنا في تطوير البحث الإجرائي في المدارس المشاركة، من خلال الشراكة بين الفاعلين في العملية. بعض هؤلاء المشاركين يرتبطون في ذهن المعلمين بعنصر المحاسبية على فاعلية المدرسة، مثل المفتشين المحليين، وبعضهم قادمون من السلك الأكاديمي، وعليهم التمسك بهذه القضايا فيما يتعلق ببحث فاعلية المدرسة والفصل بين النظرية والتطبيق. إن توجه الشراكة في البحث الإجرائي كما هو الحال في هذا البحث (NWCSEUS)، يوفر وسيلة فعالة للتغلب على هذا الفصل.

توفر التوأمة بين المدرسة والجامعة وسيلة للتغلب على فجوة المصداقية بين قلعة المدرسة وقلعة الأكاديميين. وتمكن التوأمة من حدوث نوع جديد من التعلم المهني وتساعد في خلق معرفة جديدة أكثر قوة، لإفادة التعليم والمدرسة، كدمج بين النظرية والتطبيق. وينتج عن ذلك ممارسات أكثر اعتمادا على النظريات، ومستفيدة بشكل واسع من الممارسات العملية.

يوفر البحث الإجرائي لنا وللمعلمين طريقة لحل قضية النظرية-التطبيق، وبذلك يبدو أنه يمتلك الكثير لجعل أبحاث فعالية المدرسة أكثر إمكانية.

تمثل توجهاً في تطوير مشاريع أدت إلى تركيز اهتمام الأساتذة على تطوير المدرسة في مجالات أعطوها الأولوية من حيث الأهمية، بدلا من التأكيد على أجندة الفاعلية من خلال معايير مفروضة من الخارج. هنا أكدنا على بعد التطوير بدلا من بعد المحاسبية. وكأكاديميين، فإن التحدي هو التخلي عن برجنا العاجي في النظر إلى عملنا، وذلك من خلال إشراك المعلمين في أبحاثنا الخاصة.

وبهذه الطريقة صورنا منهجية البحث الإجرائي كأداة فعالة في جسر الهوة بين النظرية والتطبيق بنية أنها ستساعد المعلمين في إعطاء معنى لبحث تطوير المدرسة وتفعيلها في سياقاتهم الخاصة بطريقة منطلقة من الممارسة.

ومن ثم فإنه من المهم الوعي بأن تبني توجه البحث الإجرائي في هذا العمل يتطلب من المعلمين كمشاركين في العمل أن يعملوا في اتجاهين، الأول: من خلال عملية البحث نفسها، التي يجب أن تزود المشاركين بوسائل لجسر الهوة بين النظرية والتطبيق، وثانيا: من خلال دعم حقيقة أن المعلمين موضوعون في وضع تحد للنظريات ونتائج البحوث من خلال السياقات الواقعية في صفوفهم. هذا النوع من الأبحاث يعزز دور الأساتذة في تبني وإعادة بناء النظريات والاستراتيجيات المعتنقة من قبل دراسات فاعلية المدرسة وتطويرها. وقد قدم إليوت (Elliott، ١٩٩٦) حالة قوية لهذا النوع من إشراك المعلمين عندما طور البحث الإجرائي كأولوية لمستقبل تطوير المدرسة.

يمكن تحديد فائدة نتائج دراسات فاعلية المدرسة بهدف تطويرها من قبل المعلمين على مستوى غرفة الصف. وفي هذه الحالة فإن أولوية تطوير المدرسة على المستوى الإداري هي في كيفية دعم وتشجيع عملية التأمل التي تدعى عادة بالبحث الإجرائي من قبل المعلمين على مستوى غرفة الصف.

يوفر البحث الإجرائي لنا وللمعلمين طريقة لحل قضية النظرية–التطبيق، وبذلك يبدو أنه يمتلك الكثير لجعل أبحاث فاعلية المدرسة أكثر إمكانية، ويمكّن المعلمين من التوصل لفهم أكبر لعملهم في الميدان وإشراكهم كفاعلين في هذه الحركة. لهذا السبب فإن تطوير شبكة من المعلمين والأكاديميين الجامعيين يثبت أنه أساسي من أجل إكمال العمل في حركة تفعيل المدرسة وتفعيلها، وبشكل خاص فيما يتعلق بمستوى الأثر الذي يمكن أن يحدثه البحث على المدارس والمعلمين أنفسهم. وفي الحقيقة فإن (إليوت) يقترح أيضا إمكانية أن تزود هذه الأبحاث نوعا من المخرجات المبدعة للاستجابة لفرض توجه لإدارة المدرسة وتطويرها بالاستناد إلى نظام منطقي ونموذج إشراف ضابط.

إن انتشار البحث الإجرائي التعاوني كعملية تطوير وتقييم للمنهاج معتمدة على المدرسة هي استجابة لنمو نظام مبرر تقنيا من الإشراف والضبط السلطوي لممارسات المعلمين المهنية. وفي خضم سيطرة ثقافة المهنة التقليدية، يمكن أن يتألق جمال التأمل التعاوني مقابل سيطرة التقنيين. (Elliott، ١٩٩١).

وإذا ما تم فهم وتقدير هذا الواقع فإن رؤية إليوت لحل قضية النظرية–التطبيق كإحدى النتائج غير المقصودة لتدخل الحكومة في التعليم يمكن أن توفر المفتاح لفتح الباب أمام المعلمين لفاعلية المدرسة في سياق بحثي، حيث يصبحون قادرين على استكشاف فهمهم واشتقاق معانيهم الخاصة حول ما يجعل المدرسة فاعلة، وما يمكن أن يؤدي إلى تطورهم.

يبدو أن أحد الآثار غير المقصودة لتدخل الحكومة في التعليم هو إيجاد ظروف لحل قضية النظرية–التطبيق وولادة نموذج للتطور المهني يستند إلى البحث الإجرائي. إلا أن الوعود لم توف حتى الآن، وتبقى طموحات عامة.

الترجمة بتصرف: ليانا جابر، مها قرعان، نادر وهبة

مراجع واردة في الترجمة:

Elliott, J. (1991). Action Research for Educational Change. Buckingham: Open University Press.

Elliott, J. (1996). School Effectiveness Research and its Critics: Alternative Vision of Schooling, Cambridge Journal of Education, 26,pp. 199-224

من نشاطات المركز – رحلة بيئية – غزة